الفصل السادس والسبعون

اليهودية بين العرب

والحديث عن اليهودية بين العرب ، وعن وجود يهود في أنحاء من جزيرتهم، لا يمكن ان يكون حديثاً تأريخياً مبنياً على العلم اذا ارتفعنا به الى الميلاد والى ما قبل الميلاد . ولا يعني كلامي هذا عدم وصول يهود الى جزيرة العرب،وعدم إقامتهم في أماكن منها . فهذا كلام لا يمكن أن يقال ، ولا يمكن قبوله . انما أريد ان أقول اننا لا نملك نصوصاً تأريخية تخولنا ان نتحدث عن اليهود في جزيرة العرب قبل الميلاد حديثاً علمياً ، بأن نعين المواضع التي نزلوا فيها ، والأماكن التي وصلوا اليها ، وما فعلوه هناك ، وفي أي عهد كان ذلك ، ومن قادهم الى تلك الأنحاء ، ومن استقبلهم استقبالاً حسناً ، أو استقبلهم استقبالاً سيئاً من الجاهليين ؟

وقد عرف اليهود عند الجاهليين ، وورد ذكرهم في الشعر الجاهلي . ولا بد من وقوف الجاهليين على أحوالهم ، لأنهم كانوا كما سنرى يسكنون في مواضع عديدة معروفة تقع ما بين فلسطين ويثرب ، كما سكنوا في اليمن وفي اليمامة وفي العروض . وكان تجار منهم يقيمون في مكة وفي مواضع أخرى من جزيرة العرب للاتجار واقراض المال بربا فاحش للمحتاجين اليه .

ومعارفنا عن يهود جزيرة العرب مستمدة من الموارد الإسلامية . والسبب في ورود خبرهم في هذه الموارد ، هو اصطدامهم بالإسلام ، ومقاومتهم له حينما دعاهم الرسول الى الدخول فيه ، فنزل فيهم الوحي ، وأشير اليهم في الحديث،

وذكروا في كتب التفسير والسير والتواريخ والأدب . ومن هنا تجمعت معارفنا عن يهود الجاهلية . ولهذا تجد الحديث عـــن يهود الجاهلية لا يرتقي كثيراً عن عصر النبوة ، ولا يبتعد عنه ولكني لا استبعد احتمال تغير الحال ، إذا ما عثر المنقبون في المستقبل عـــلى كتابات جاهلية قد تكون مطمورة في الوقت الحاضر في باطن التربة ، يكون لها صلة بيهود جزيرة العرب ، أو إذا ما عثر على مؤلفات ووثائق مكتوبة عبرانية أو غير عبرانية قد تكون مجهولة عن ذوي العلم في الوقت الحاضر، تكون لها صلة وعلاقة بأمر يهود جزيرة العرب قبل الإسلام .

وقد وردت لفظة (يهود) معرفة في القرآن الكريم . أي على هذا الشكل : (اليهود) . وردت في مواضع من سورة البقرة [1] ومن سورة المائدة [2] ومن سورة التوبة [3] . وكلها سور مدنية . ولم ترد في سورة من السور المكيـة . كما وردت لفظة (يهودياً) في سورة آل عمران ، وردت في شرح ديانـــة (ابراهيم) : « ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً »[4] . وهي من السور المدنية كذلك .

وعبر القرآن الكريم عن اليهود وعن معتنقي اليهودية بـ « الذين هادوا »[5] ، وبـ « من كان هوداً »[6] و « كونوا هوداً »[7] و « كانوا هوداً »[8] . وسورتي الأنعام والنحل من السور المكيّة . وبناء على ذلك تكون جملة « الذين هادوا » قد نزلت قبل نزول لفظة (اليهود) في القرآن الكريم .

وقد عبر عن العبرانيين عامة بـ (بني اسرائل) في القرآن الكريم . عبر عنهم في سور مكية وفي سور مدنية . ويلاحظ ان ورود هذا التعبير في القرآن الكريم ، هو أكثر بكثير من ورود لفظة (اليهود) فيه .

---

١ البقرة ، الآية ١١٣ ، ١٢٠ .
٢ المائدة ، الآية ١٨ ، ٥١ ، ٦٤ ، ٨٢ .
٣ التوبة ، الآية ٣٠ .
٤ آل عمران ، الآية ٦٧ .
٥ البقرة ، الآية ٦٢ ، النساء ، الآية ٤٦ ، ١٦٠ ، المائدة ، الاية ٤١ ، ٤٤ ، ٦٩ ، الانعام ، الاية ١٤٦ ، النحل ، الاية ١٨٨ ، الحج ، الاية ١٧ ، الجمعة ، الاية ٩ .
٦ البقرة ، الآية ١١١ .
٧ البقرة ، الآية ١٣٥ .
٨ البقرة ، الآية ١٤٠ .

ولما كانت فلسطين امتداداً طبيعياً للحجاز ، كان من الطبيعي اتصال سكانها بالحجاز ، واتصال سكان الحجاز بفلسطين ، وذهاب جاليات يهودية الى العربية الغربية ،للاتجار وللاقامة هناك ، خاصة بعد فتوح الدول الكبرى لفلسطين واستيلائها عليها ، وهجرة اليهود الى الخارج . فكانت العربية الغربية لاتصالها بفلسطين من الأماكن الملائمة المناسبة لهجرة اليهود اليها ، واقامتهم فيها ، ولا سيما عند مواضع المياه وفي الأرضين الخصبة العامرة . غير اننا لا نستطيع ، كما قلت ، التحدث عن هجرة اليهود هذه الى هذه الأنحاء حديثاً علمياً معززاً بالكتابات وبالتواريخ .

ولم يترك يهود جزيرة العرب لهم أثراً مكتوباً يتحدث عن ماضيهم فيها. وكل ما عثر عليه منهم ، نصوص معدودة ، وجدت في اليمن ، لا تفصح بشيء ذي بال عن اليهود واليهودية . كذلك لم يصل الينا ان أحداً من المؤلفين والكتبة العبرانيين ذكر شيئاً عن يهود الجاهلية . وليس لنا من تأريخ اليهود في جزيرة العرب إلا ما جاء في القرآن الكريم وفي الحديث وكتب التفسير والأخبار والسير : فمادتنا عن تأريخ اليهودية في العربية ، لا ترتقي إلى عهد بعيد عن الاسلام .

لقد ذهب بعض المؤرخين المحدثين الى أن اليهود كانوا في جملة من كان في جيش (نبونيد) يوم جاء الى تيماء . فأقاموا بها وبمواضع أخرى من الحجاز بلغت (يثرب) . وأن هؤلاء اليهود أقاموا منذ ذلك الحين في تلك الأماكن واستوطنوا وادي القرى وأماكن أخرى الى مجيء الإسلام . غير أن (نبونيد) لم يشر في أخباره المدونة الى وجود اليهود في جيشه والى اسكانه لهم في هذه الأرضين كما أننا لم نعثر على كتابات تتحدث عن هذا العهد أو عن العهد الذي سبقه أو الذي جاء من بعده ، لذلك فإننا لا نستطيع أن نعزز هذا الكلام بنصوص وكتابات . وان كنا لا نريد نفي احتمال مجيء اليهود الى هذه الديار في عهد (نبونيد) ، أو في عهد (بخت نصر) ، أو قبل العهدين .

نعم ، لقد عثر على عدد من الكتابات النبطية في الحجر وفي مواضع أخرى من أرض النبط وردت فيها أسماء عبرانية تشير الى أن أصحابها من يهود ، ويعود بعضها الى القرن الأول للميلاد ، ويعود بعض آخر الى ما بعد ذلك مثل الكتابة التي يعود عهدها الى سنة ٣٠٧ ميلادية ، وصاحبها رجل اسمه (يحيى بر شمعون) أي (يحيى بن شمعون)[1] . غير أن هذه الكتابات شخصية ، ولا تفصح بشيء

١ Islamic culture, vol., III, No. 2, April 1929, Judaeo — Arabic Relations in Pre-Islames Times, by Josef Horovity, p. 170.

ذي بال عن عقيدة أصحابها ، ولا عن تأريخهم في هذين الأرضين .

وقد ذهب اليهود الى العربية الشرقية ، ذهبوا اليها من العراق ، فسكنوا في مواضع من سواحل الخليج ، وتاجروا مع أهل هذه البلاد ومع باطن الجزيرة . وقد ساعدتهم بعض الحكومات على الذهاب اليها . وقد كانت ليهود العراق تجارات مع أهل الخليج ، كما يفهم ذلك من مواضع من التلمود .

ويتبين من روايات المؤرخ اليهودي (يوسفوس فلافيوس) Iosephos Flavius ان اليهودية كانت قد وجدت لها سبيلاً بين العرب . وان بعض ملوك مملكة (حدياب) Adiabene كانوا قد دخلوا فيها [1] . ويذكر المؤرخ (سوزومين) Souzomenos ان اليهود كانوا ينظرون الى العرب الساكنين شرق الحد العربي Limes Arabicus على انهم من نسل اسماعيل ، وانهم كانوا يرون انهم من نسل اسماعيل وابراهيم ، فهم من ذوي رحمهم ، ولهم بهم صلة قربى . وكانوا يرجون لذلك دخولهم في دينهم ، واعتناقهم دين ابراهيم جد اليهود والعرب . وقد عملوا على تهويد أولئك العرب [2] .

ويظهر من مواضع من التلمود ان نفراً من العرب دخلوا في اليهودية ، وانهم جاءوا إلى الأحبار ، فتهودوا أمامهم [3] . وفي هذه المرويات (التلمودية) ، تأييد لروايات أهل الأخبار التي تذكر ان اليهودية كانت في حمير ، وبني كنانة ، وبني الحارث بن كعب ، وكندة [4] ، وغسان [5] . وذكر (اليعقوبي) ان ممن تهود من العرب « اليمن بأسرها . كان تُبّع حمل حبرين من أحبار يهود الى اليمن ، فأبطل الأوثان ، وتهود من باليمن ، وتهود قوم من الأوس والخزرج بعد خروجهم من اليمن لمجاورتهم يهود خيبر وقريظة والنضير . وتهود قوم من بني الحارث بن كعب وقوم من غسان وقوم من جذام » [6] .

وقد ذكر علماء التفسير في تفسيرهم الآية : « لا اكراه في الدين . قد تبين

---

١ Die Araber, II, S. 65. ff.

٢ Sozomenos, 6, 38, 10-13, 299, 17, Die Araber, II, S. 74.

٣ Y 'bamot, 16 b, 'Aboda Zara 27a, Die Araber, II, S. 74.

٤ المعارف (٦٢١) ، الاعلاق النفيسة (٢١٧) .

٥ البدء والتأريخ (٤/٣١) .

٦ اليعقوبي (١/٢٢٦ وما بعدها) .

الرشد من الغي »[1]، أنها نزلت في الأنصار . كانت المرأة المقلات في الجاهليـة تنذر إن عاش لها ولد أن تهوده ، فتهود قوم منهم . فلما جاء الله بالاسلام أرادوا اكراههم عليه ، فنهاهم الله عـن ذلك ، حتى يكونوا هم يختارون الدخول في الإسلام . أو أنهم لما بقوا على يهوديتهم ، وأمر اليهود بالجلاء ، وفيهم منهم ، شق على آبائهم ترك أبنائهم يذهبون مع اليهود ، فقالوا : « يا رسول الله أبناؤنا واخواننا فيهم .. فسكت عنهم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فـأنزل الله تعالى ذكره : لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغيّ ... فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قد خيّر أصحابكم ، فإن اختاروكم فهم منكم ، وإن اختاروهم فهم منهم »[2] . وذكر العلماء أيضاً ان ناساً من الأنصار كانوا مسترضعين في بني قريظة وغيرهم من يهود ، فتهودوا ، وأن من الأنصار من رأى في الجاهلية أن اليهودية أفضل الأديان ، فهودوا أولادهم ، فلما جاء الاسلام ودخلوا فيه ، أرادوا اكراه أبنائهم الذين تهودوا على الدخول فيه ، فنزل الوحي بالآيـة المذكورة[3] . فقد كان اذن بين يهود جزيرة العرب ، عرب دخلوا في دين يهود .

وذكر أهـل الأخبار أن (جبل بن جوال بن صفوان) الثعلبي ، من بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان ، كان يهودياً فأسلم . فهو عربـي ، يظهر أنه أو أهلـه قبله قـد تهودوا ، فكان على دين يهود ، وعاش مع (بني قريظة) ، حتى اعتنق الإسلام[4] . وذكروا أسماء آخرين كانوا من متهودة الجاهليين .

ويرى بعض المؤرخين اليهود أن يهود جزيرة العرب كانوا في معزل عن بقية أبناء دينهم وانفصال ، وأن اليهود الآخرين لم يكونوا يرون أن يهود العربية مثلهم في العقيدة ، بل رأوا أنهم لم يكونوا يهوداً ؛ لأنهم لم يحافظوا على الشرائع الموسوية ولم يخضعوا لأحكام التامود[5] . ولهذا لم يرد عن يهود جزيرة العرب شيء في أخبار المؤلفين العبرانيين .

وعندي ان عدم ورود شيء عن يهود الحجاز في أخبـار المؤلفين العبرانيين

---

١ البقرة ، رقم ٢ ، آية ٢٥٦ .
٢ تفسير الطبري (٣/١٠ وما بعدها) .
٣ تفسير الطبري (٣/١٠ وما بعدها) ، تفسير القرطبي (٣/٢٨٠ وما بعدها) .
٤ الاصابة (١/٢٢٣ وما بعدها) ، (رقم١٠٧١) .
٥ اسرائيل ولفنسون : تاريخ اليهود في بلاد العرب (ص ١٣) ، (القاهرة ١٩٢٧) .

لا يمكن ان يكون دليلاً على عزلة يهود الحجاز عن بقية اليهود . فقد أهمل غيرهم أيضاً ولم يشر اليهم ، لأن التأليف والنشاط الفكري عند العبرانيين كانا قد تركزا في هذه العهود على المستوطنات اليهودية في العراق وعلى فلسطين ، وعلى (طبريا) بصورة خاصة ، ولم تشتهر الجاليات اليهودية التي انتشرت في مواضع أخرى بالتأليف ، فكان من الطبيعي ان تنحصر أخبار اليهود في هذا العهد في هذين القطرين . ولهذا لم يشر الى يهود الحجاز والى يهود بقية جزيرة العرب . ثم إن الحجاز على اتصال بفلسطين ، وفلسطين جزء من الحجاز متمم له جغرافياً ، وهو متصل بفلسطين منذ القدم ، وفلسطين منفذه التجاري ، وميناء (غزة) من المواضع التي كان يقصدها تجار الحجاز للاتجار ، والحركة مستمرة دوماً بين فلسطين والحجاز ، وقد كان تجار اليهود من أهل الحجاز يتاجرون مع بلاد الشأم وفي جملتها أرض فلسطين ، فلا يعقل بالطبع ان يصير يهود الحجاز في عزلة عن يهود فلسطين ، والا يكون بين اليهودين اتصال . أما من ناحية الآراء الدينية والاعتقادية ، فقد يكون بين اليهودين بعض الاختلاف ، فقد وقع اختلاف في الآراء بين أحبار يهود العراق وبين أحبار يهود فلسطين ، فلا يستبعد اذن رأي من يقول بوجود اختلاف في وجهة نظر يهود فلسطين بالنسبة ليهود الحجاز ، إذ قد يكون يهود الحجاز ويهود جزيرة العرب قد تأثروا بالعرب الذين نزلوا بينهم فاضطروا الى التخفيف من التمسك بشعائر دينهم ، لا سيما وان من بين يهود جزيرة العرب يهود متهودون ، كانوا في الأصل من أدوم ومن النبط ومن العرب ، دخلوا في اليهودية لعوامل متعددة ، فلم يكونوا لذلك على سنّة اليهود الأصيلين في المحافظة على شريعتهم محافظة شديدة تامة .

وقد انتشر اليهود جماعات جماعات استقرت في مواضع المياه والعيون من وادي القرى وتيماء وخيبر الى يثرب ، فبنوا فيها الآطام لحماية أنفسهم وأرضهم وزرعهم من اعتداء الأعراب عليهم . وقد أمنوا على أنفسهم بالاتفاق مع رؤساء القبائل الساكنة في جوارهم على دفع إتاوة لهم ، وعلى تقديم الهدايا اليهم لاسترضائهم . وكان من شأنهم أيضاً التفريق بين الرؤساء وإثارة الشحناء بين القبائل حتى لا تصفو الأحوال فيما بينها وتلتئم ولئلا يكون اتفاقها والتئامها خطراً يتهدد اليهود .

وليس الذي يرويه أهل الأخبار عن إرسال موسى جيشاً الى الحجاز ، واستقرار ذلك الجيش في يثرب بعد فتكه بالعماليق وبعد وفاة موسى ، ثم ما يذكرونه عن

هجرة داوود مع سبط يهوذا الى خيبر وتملكه هناك ثم عودته الى اسرائيل[1] وأمثال هذا إلا قصصاً من هذا النوع الذي ألفنا قراءته في كتب أهل الأخبار، لا أستبعد أن يكون مصدره يهود تلك المنطقة أو من أسلم منهم ، لإثبات أنهم ذوو نسب وحسب في هذه الأرضين قديم ، وأنهم كانوا ذوي بأس شديد ، وأن تأريخهم في هذه البقعة يمتد الى أيام الانبياء وابتداء اسرائيل ، وأنهم للذلك الصفوة المختارة من العبرانيين .

وقد زعم أهل الأخبار ، ان العمالقة كانوا أصحاب عز وبقي شديد ، وكانوا ينزلون الحجاز في جملة ما نزلوا من أماكن في ايام موسى . وكان منهم : بنو هف وبنو سعد وبنو الأزرق وبنو مطروق . وملكهم إذ ذاك رجل منهم اسمه (الأرقم) ، ينزل ما بين تيماء وفدك . وكان سكان يثرب من العمالقة وكذلك سكان بقية القرى . فلما تغلب عليهم العبرانيون انتزعوا منهم مساكنهم ، وأقاموا في مواطنهم في الحجاز[2] .

وقد أخذ أهل الأخبار ما رووه عن دخول اليهود إلى يثرب في ايام موسى ، وما ذكروه عن إرساله جيشاً إلى هذه المنطقة ، ثم ما رووه عن سكنهم القديم في أطراف المدينة وفي أعالي الحجاز ، من سفر (صموئيل الأول) من التوراة[3] . وقد حسب أهل الأخبار العمالقة من سكان يثرب القدماء ، ومن سكان أعالي الحجاز ، فزعموا ان تلك الحروب قد وقعت في هذه المنطقة ، وان اليهود قد سكنوها لذلك منذ ايام موسى . وقد أخذ الأخباريون رواياتهم هذه من اليهود ، وممن دخل منهم في الاسلام[4] .

ويرى بعض الأخباريين أن ابتداء أمر اليهود في الحجاز ونزولهم وادي القرى وخيبر وتيماء ويثرب إنما كان في أيام (بخت نصر) ، فلما جاء (بخت نصر)

---

١ الاغاني (١٩/٩٤ وما بعدها) ، « اخبار أوس ونسب اليهود بيثرب وأخبارهم » ، ابن خلدون (٢/٨٨) ، (٢/٥٩٤) ، « دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٥٦ » ، أبو الفداء (١/١٢٣) ، ابن الأثير ، الكامل (١/٤٠١ وما بعدها) ، ابن خلدون (٢/٥٩٤) «بيروت ١٩٥٦ » ، ابن هشام (٢/١٧) .

٢ الاغاني (١٩/٩٤) ، ابن هشام (٢/١٧) .

٣ صموئيل الاول : الاصحاح الخامس عشر ، الآية ٥ وما بعد .

٤ Nöldeke, Beiträge, S. 52.

الى فلسطين ، هرب قسم منهم الى هذه المواضع واستقروا بها الى مجيء الإسلام[1]. وليس في هذا الخبر مـا يحملنا على استبعاده ، فهروب اليهود الى أعالي الحجاز ودخولهم الحجاز أمر سهل يسير ، فالأرض واحدة وهي متصلة والطرق مفتوحة مطروقة ، ولا يوجـد أي مانع يمنع اليهود أو غير اليهود من دخول الحجاز . لا سيما وأن اليهود كانوا خائفين فارين بأنفسهم من الرعب ، فهم يبحثون عن أقرب ملجأ اليهم يحميهم من فتك ملك بابل بهم . وأقرب مكان مأمـون اليهم هو الحجاز .

أما ما ورد في روايات أهل الأخبار عن هجرة بعض اليهود الى أطراف يثرب وأعالي الحجاز على أثر ظهور الروم على بلاد الشأم وفتكهم بالعبرانيين وتنكيلهم بهم مما اضطر ذلك بعضهم الى الفرار الى تلك الأنحاء الآمنة البعيـدة عن مجالات الروم ، فـإنه يستند الى أساس تأريخي صحيح[2] . فالذي نعرفه أن فتح الرومان لفلسطين أدّى الى هجرة عدد كبير من اليهود الى الخارج ، فلا يستبعد أن يكون أجداد يهود الحجاز من نسل أولئك المهاجرين .

وكان يقيم بـ (مقنا) عند ظهور الإسلام قوم من اليهود اسمهم (بنو جنبة) ، وقد كتب اليهم الرسول والى أهل (مقنا) يدعوهم الى الاسلام ، أو الى دفع الجزية[3] . وكتب الى قوم من يهود اسمهم (بنو غاديا)[4] ، والى قـوم آخرين اسمهم (بنو عريض)[5] .

ومن هؤلاء المهاجرين على رأي الأخباريين بنو قريظة وبنو النضير وبنو بهدل . ساروا إلى الجنوب في اتجاه يثرب ، فلما بلغوا موضع الغابـة ، وجدوه وبيئاً ، فكرهوا الاقامة فيه ، وبعثوا رائداً أمروه ان يلتمس لهم منزلاً طيبـاً ، وأرضاً عذبة ، حتى إذا بلغ (العالية) ، وهي بطحان ومهزور واديان من حرة على تلاع أرض عذبة . بها مياه وعيون غزيرة ، رجع اليهم بأمرها ، وأخبرهم بما

---

١ الاغاني (١٩/٩٤) ، ابن خلدون (٢/٥٩٤) «دار الكتاب» ، أبو الفداء (١/١٢٣) ، الكامل (١/٤٠١) ، R. Donyy, Die Israeliten zu Mekka, S. 135.

٢ ابن خلدون (٢/٥٩٤) « بيروت ١٩٥٦ » .

٣ ابن سعد ، طبقات (١/٢٧٦) .

٤ ابن سعد ، طبقات (١/٢٧٩) .

٥ ابن سعد ، طبقات (١/٢٧٩) .

رآه منها ، فقـرّ رأيهم على الاقامة فيها . فنزل بنو النضير ومن معهم عـلى بطحان ، ونزلت قريظة وبهدل ومن معهم على مهزور ، فكانت لهم تلاعه وما سقى من بعاث وسموات[1] .

وسكن اليهود يثرب . سكنها منهم بنو عكرمة وبنو ثعلبة وبنو محمر وبنو زعورا وبنو قينقاع وبنو زيد وبنو النضير وبنو قريظة وبنو بهدل وبنو عوف وبنو القصيص وبنو ماسلة ، سكن هؤلاء المدينة وأطرافها ، وكان يسكن معهم من غـير بني اسرائيل بطون من العرب ، منهم : بنو الحرمان حـي من اليمن ، وبنو مرثد حي من بَلِيّ ، وبنو نيف وهم من بـلي أيضاً ، وبنو معاوية حي من بني سُليم ثم من بني الحرث بن بهثة ، وبنو الشظيّة حي من غسان . وظل اليهود أصحاب يثرب وسادتها ، حتى جاء الأوس والخزرج ، فنزلوها واستغلوا الخلافات التي كانت قد وقعت بين اليهود ، فتغلبوا عليهم ، وسيطروا على المدينة ، وقسموها فيما بينهم ، فلم يبق من يومئذ عليها سلطان[2] .

وتذكر روايات أهل الأخبار أن مجيء الأوس والخزرج الى يثرب كان بعـد حادث سيل العرم . جاؤوا اليها لفقر حالهم ، والتماساً لوطن صالح جديد، وأنهم حينما نزلوها لم يكن لهم حـول ولا قوة . ولذلك قنعوا بالذي حصلوا عليه من أرض ضعيفـة موات ، ومن رزق شحيح . أما المال والثروة والملك والجاه ، فلليهود . بقوا على ذلك أمداً حتى إذا ما ذهب مالك بن العجلان ، وهو منهم، الى أبـي جبيلة الغساني رئيس غسان يومئـذ ، ونزل عنده ، شكا لأمير غسان سوء حال قومه وما هم عليه من بؤس وضنك . فوعده أبو جبيلة أن يأتي عـلى رأس جيش من قومه لمساعدته ، على أن يقوم بعد عودته ببناء حائر عظيم، يعلن أنه بناه لاستقبال الأمير فيه ، وأن يطلب من اليهود الخروج لاستقبالـه والتشرف بزيارته في ذلك الحائر ، فإن فعلوه ، فتك بهم وأبادهم . فلما تمّ البناء ، ووصل الأمير في الأجل الموقوت ، ودخل المدعوون رؤساء اليهود الحائر ، فتكت عساكر أبـي جبيلة بهم وأهلكتهم . وتمت الغلبـة من يومئذ للأوس والخزرج ، وعاد

---

١ الاغاني (١٩/٩٤ وما بعدها) ، ابن خلدون (٢/٥٩٤) ، تاريخ أبو الفداء (١/١٢٣) « مطبعة التقدم » .

٢ الاغاني (١٩/٩٥) ، الكامل ، لابن الاثير (١/٤٠١) .

أبو جبيلة الى مقر ملكه[1] .

غير ان اليهود ظلوا مع هذه الغلبة يتهاترون مع الأوس والخزرج ويعترضونهم ويتناوبونهم ، فعمد مالك بن العجلان إلى الحيلة ، فتظاهر انه يريد الصلح معهم، وانه عزم على تسوية العداوات وطمس الحزازات ، وانه لذلك يدعو رؤساءهم الى طعام ، ليتفاوضوا مع سادات قومه في أمر الصلح . فلما حضر رؤساء يهود، فتك بعشرات منهم ممن استجاب لدعوته ، وفرّ أحدهم ليخبر قومه بما حدث ، وحذر أصحابه الذين بقوا ، فلم يأت منهم أحد .

« فلما قتل مالك من يهود من قتل ، ذلّوا ، وقلّ امتناعهم ، وخافوا خوفاً شديداً ، وجعلوا كلما هاجمهم أحد من الأوس والخزرج بشيء يكرهونه لم يمش بعضهم لبعض كما كانوا يفعلون قبل ذلك ، ولكن يذهب اليهودي الى جيرانه الذين هو بين أظهرهم ، فيقول : انما نحن جيرانكم ومواليكم ، فكان كل قوم من يهود لجأوا الى بطن من الأوس والخزرج يتعززون بهم » ومنذ ذلك الزمن لم يبق لليهود على هذه الأرضين سلطان[2] .

وورد في رواية أخرى ان (مالك بن عجلان) ، كان من الخزرج ، وكان سيد قومه يومئذ ، وكان على اليهود رجل منهم اسمه (الفَطْيون) ملك عليهم ، واستبد بأمر الناس ، وكان يهودياً ومن بني ثعلبة ، وكان امرأ سوء فاجراً ، قرر ألا تدخل امرأة على زوجها إلا بعد دخولها عليه . فاغتاظ مالك من فعل الفَطْيون ومن استذلاله للعرب ، ولما كان زفاف اخته لزوجها ، وكان لا بد من ادخالها على (الفطيون) أولاً ليستمتع بها ، كبر ذلك عليه ، فدخل معها في زي امرأة ، فلما أراد (الفطيون) الخلو بها ، وثب مالك عليه وعلاه بسيفه وقتله ، وخلّص قومه منه ، وفرّ عندئذ الى أبي جبيلة ملك غسان[3] .

وتذكر هذه الرواية أن (أبا جبيلة) لم يكن من غسان،بل كان من الخزرج، وكان عظيماً ذا منزلة كبيرة في الناس ، حتى صار ملكاً على الغساسنة ، ويرجح

---

١ الاغاني (١٩/٩٧ وما بعدها) ، ابن خلدون (٢/٥٩٦) ، ابو الفداء (١/١٢٣) ، الكامل (١/٤٠١) .

٢ الاغاني (١٩/٩٥ وما بعدها) ، ابن الاثير ، الكامل (١/٤٠١ وما بعدها) .

٣ ابن الاثير ، الكامل (١/٤٠١) ، وفي بعض الكتب « القطيون » ، بحرف القاف ، وهو تحريف ، المحبر (١١٢) ، جمهرة أشعار العرب (٢٤٣) ، (القاهرة ١٩٢٦ م) .

رواتها أنه لم يكن ملكاً عـلى آل غسان ، بل كان مقرباً عند ملكهم ، عظيم الحظوة لديه . ودليلهم على ذلك عدم اعتراف الغساسنة بوجود ملك عليهم اسمه (عبيد بن سالم بن مالك بن سالم)،وهو اسم (أبو جبيلة) المذكور . ويذكرون أن (الرمق بن زيد الخزرجي) مدحه بشعر قاله فيه[1] .

وتذكر رواية ان الفطيون اسم عبراني ، واسمه (عامر بن عامر بن ثعلبة بن حارثة) ، وكان تملك بيثرب . فلما قتل خرج مالك بن العجلان ، حتى قـدم على (أبـي جبيلة) ملك غسان ، فأعلمه غلبة يهود على يثرب وفعله بهم، فقدم (أبو جبيلـة) يثرب ، ثم صنع طعاماً ، ومكن الأوس والخزرج ممن دعاهم الى الطعام من قتل مائة من أشراف اليهود ، فقويت الأوس والخزرج عليهم[2] .

وجاء في رواية أخرى ، أن (مالك بن العجلان) ، إنما فرّ الى (تبع) ، بعد قتله (الفطيون) فاستصرخه على اليهود ، فجاء حتى قتل ثلثمائة وخمسين رجلاً غيلة من سادات يهود بـ (ذى حرض) ، ولما أدبهم رجع الى أرضه اليمن[3] .

أما مالك بن العجلان ، فقد صوره اليهود شيطاناً ملعوناً ، وصوروه في بيعهم وكنائسهم ليلعنوه كلما دخلوا ورأوه ، وذكروه في شعرهم في أقبح هجاء قالوه[4].

وقد كان بين يهود يثرب قوم يقال لهم (بني الفطيون) بقوا حتى جاء الرسول الى يـثرب . فأجلاهم في السنة الثالثة من الهجرة[5] . وذكر (ابن دريد) أن بعضاً من (بني الفطيون) الذين هم من نسل (الفطيون) ملك يثرب ، قـد شهد (بدراً) واستشهد بعضهم يوم اليمامة . وذكر أن نسب (الفطيـون) في غسان . وان من ولد الغطيون : (أبو المقشعر) واسمه (أسيد بن عبدالله)[6] .

---

١ ابن الاثير ، الكامل (١/٤٠١ وما بعدها) .
٢ نوادر المخطوطات ، أسماء المغتالين (١٣٦ وما بعدها) .
٣ البدء والتاريخ (٣/١٧٩) .
٤ الاغاني (١٩/٦٩) ، الاشتقاق (ص ٢٧٠) ،
Graetz, Geschichte der Juden, V, S. 431, Hirschfeld, Essai de l'histoire des Juives de Medine, in Revue Etudes Juives, VII, 1883, p. 173, Caussin de Perceval, Essai, II, p. 652, Wellhausen, Skizze, IV, S. 33, Nallino, Raccolta, III, p. 111.
٥ المحبر (١١٢) .
٦ الاشتقاق (٢/٢٤٩) ، « وستنفلد » .

وقد فسّر أهل الأخبار كلمة (الفطيون) بـ (مالك) ، وقالوا إنها تقابل (النجاشي) عند الحبشة ، و (خاقان) عند الترك . وذكروا أسماء نفر ممن كانوا يلقبون بالفطيون [1] .

ويفهم من روايات الأخباريين ان يهود الحجاز كانوا قبائل وعشائر وبطوناً ، منهم : بنو النضير ، وبنو قريظة ، وبنو قينقاع ، وبنو عكرمة ، وبنو محمر ، وبنو زعورا ، وبنو زيد ، وبنو الشطية ، وبنو جشم ، وبنو بهدل ،وبنو عوف ، وبنو القصيص (العصيص) ، وبنو ثعلبة [2] . غير انهم لم يكونوا أعراباً ، أي بدواً يتنقلون من مكان الى مكان ، بل كانوا حضراً استقـــروا في الأماكن التي نزلوا فيها ، ومارسوا مهن أهل المدر ، كل جماعة مستقلة تحمل اسمـــاً من تلك الأسماء التي ذكرها الأخباريون .

وقد عرف بنو قريظة وبنو النضير من بـين اليهود بـ (الكاهنين) ، نسبوا ذلك الى جدهم الـــذي يقـال له (الكاهن) . و (الكاهن) هو الكاهن بن هارون بن عمران على زعم بعض أهل الأخبار [3] . فهم على هذه النسبة من أصل رفيع ومن نسب حسيب ، يميزهم عن بقية طوائف يهود. ولهذا كانوا يفتخرون بنسبهم هذا ، ويرون لهم السيادة والشرف على من سواهم من اخوانهم في الدين.

ويرى (نولدكه) احتمال كون بني النضير وبني قريظة من طبقة الكهّان في الأصل : هاجروا من فلسطين على أثر الحوادث التي وقعت فيها ، فسكنوا في هذه الديار . وهناك جملة عشائر وأسر يهودية تفتخر بإلحاق نسبها بالكاهن هارون شقيق موسى النبي [4] .

كذلك يرجع (أوليري) كأمثاله من المستشرقين أصل بني قريظة وبني النضير الى اليهود ، ويرى انهم غادروا ديارهم وجاءوا الى هذه المنطقة في الفترة الواقعة ما بين خراب الهيكل في عام ٧٠ للميلاد وتنكيل (هدريان) باليهود في عام ١٣٢ للميلاد [5] .

---

١ الاشتقاق (٢/٢٥٩) .

٢ الاغاني (١٩/٩٥ وما بعدها) ، سيرة ابن هشام (٢/١٤٧ وما بعدها) ، Nöldeke, Beltäge, S. 54.

٣ الاغاني (١٩/٩٥) ، تاج العروس (٥/٢٥٩) ، (قرظ) ، Margollouth, p. 59, Graetz, History of the Jews, III, p. 56.

٤ Nöldeke, Beiträge, S. 55.

٥ O'beary, p. 173.

ويرجع بعض بقية يهود جزيرة العرب نسبهم الى الكاهنين والى الأسباط العشرة كذلك، فيدعون انهم من تلك الأسباط المفقودة ، وانهم من نسل قدماء اليهود[1] .

وقد كانت منازل بني النضير حينما غزاهم الرسول في وادي بطحان وبموضع البُويرة[2] . ووادي بطحان ، هو أحد أودية يثرب الثلاثة ، وهي : العقيق وبطحان وقناة . وهو وادٍ فيه مياه غزيرة وعيون ، اتخذ به اليهود الحدائق والآطام . وقد كان موضع البُويرة عامراً كذلك ، وهو من تيماء ، فيه نخل وزرع وأشجار . وقد غزاهم الرسول بعد ستة أشهر من غزوة أُحد ، فأحرق نخلهم وقطع زرعهم وشجرهم لتطاولهم على المسلمين . ومن ساداتهم : حيي بن أخطب ، وأخوه ياسر بن اخطب ، وسلام بن مشكم ، وكنانة بن الربيع، وهو ابو رافع الأعور ، والربيع بن أبي الحقيق[3] . وعمرو بن جحاش .

ومن بني النضير ، كعب بن الأشرف ، وكان معاصراً للرسول ، وكان صاحب لسان ونفوذ . أبوه من طيء على رواية ، ومن بني النضير على رواية أخرى . أما أمه فهي من بني النضير بإجماع الرواة . توفي أبوه — على رأي من يقول إنه من طيء — وهو صغير ، فحملته أمه الى أخواله ، فنشأ فيهم ، وقال الشعر عندهم ، وساد . ولما جاء الرسول الى يثرب ، كان كعب فيمن ناصب الرسول العداء فعلاً وقولاً ، فهجا الرسول ، وهجا أصحابه ، وظل هذا شأنه بالرغم من محاولة المسلمين استصلاحه واسترضاءه . حتى جنى عليه لسانه ، فأهدر النبي دمه ، فذهب اليه نفر من المسلمين ، فاقتحموا داره وقتلوه . وقد كانت له مناقضات مع حسان بن ثابت وغيره في الحروب التي كانت بين الأوس والخزرج[4].

---

١ Nallino, Raccolta, III, p. 99, Friedlander, The Jews of Arabia and the Rechabites, in Jews quarterly Review, 1910-1911, p. 254.

٢ بالضم ثم السكون ، وقيل بفتح أوله وكسر ثانيه وبفتح أوله وسكون ثانية ، البلدان (٢/٢١٦) ، (١/٥١٢ وما بعدها) ، (السعادة) .

٣ البلدان (٢/٣١٠ وما بعدها) ، البكري ، معجم (١/٢٨٥) « طبعة مصطفى السقا » « بويرة » ، شرح ديوان حسان ، للبرقوقي (ص ١٩٣ وما بعدها) ، الطبري (٢/٢٢٤) ، (الاستقامة) ، فتوح البلدان ، للبلاذري (١/٣٢) ، (١٩٣٢ م) ، (القاهرة) .

٤ الاغاني (١٩/١٠٦ وما بعدها) ، المحبر (ص ١١٧ ، ٢٨٢ ، ٣٩٠) ، ديوان حسان (ص ٤٦) «طبعة هرشفلد» ، شرح ديوان حسان (ص ٢٧٢ وما بعدها) «للبرقوقي»، الكامل ، لابن الاثير (٢/٩٩) ، الطبري (٢/١٧٧) ، معجم الشعراء ، للمرزباني (٣٤٣) ، ابن خلدون (٢/٧٥٧) ، ابن هشام (٢/٥٤٨) ، البداية والنهاية (٤/٧٤) .

وكان قد ذهب الى مكة ، فعرض قريشاً على الرسول ، ولما عاد الى موضعه ، ألب المشركين من أهـــل يثرب عليه . ورثا قتلى القليب ، فقتله المسلمون كما ذكرت[1] .

وكانت لبني قريظة حصون ، يتحصنون بها وقت الخطر ، ولهم آبار ، ومنهم (محمد بن كعب القرظي)[2] . والزبير بن باطان بن وهب ، وعزال بن شمويل ، وكعب بن أسد ، وشمويل بن زيد ، وجبل بن عمرو بن سكينة .

وكان بنو قينقاع أول اليهود الذين ناصبوا الرسول العداء ، وكانوا يسكنون في أحياء يثرب ، وكانوا أغنياء على غير وفاق ووئام مع بقية أبنـــاء قومهم بني قريظة وبني النضير . وقـــد اشتركوا في يوم بُعاث . ووقعت بينهم وبين بني النضير وبني قريظة معارك فتك فيها ببني قينقاع ، وأصيبوا بخسائر كبيرة اضطرتهم على ما يظهر الى الالتجاء الى يثرب والإقامة فيها في حي واحد من المدينة[3] .

ويرى (أوليري) احتمال كون بني قينقاع من أصل عربي متهود ، أو من بني أدوم[4] .

وقد تكون بعض القبائل اليهودية التي ذكر أسماءها الأخباريون قبائل يهوديـــة حقـــاً ، أي من الجماعات اليهودية التي هاجرت من فلسطـــين في ايام القيصر (طيطوس) Titus ، أو (هدريان) Hadrian ، او قبل ايامهما ، او بعدها . ولكن بعضاً آخر منها ، لم يكـن من أصل يهودي ، انما كانت قبائـــل عربية دخلت في دين يهود ، ولا سيما القبائل المسماة بأسماء عربية أصيلة . ولبعض هذه

---

١ التنبيه (٢٤٣) ، والمصادر المذكورة ، السيرة الحلبية (٢/٩٤ وما بعدها) ، الكامل ، لابن الاثير (١/٤٠١ وما بعدها) ، ابن خلدون (٢/٦٠٨) ، ابن عساكر (١/٤٠) ، البداية والنهاية (٤/٧٤ وما بعدها) .

٢ تاج العروس (٥/٢٥٩) ، (قرظ) ، البداية والنهاية (٤/١١٦) ، الاغاني (١٩/٩٤)، فتوح البلدان ، للبلاذري (١/٢٣ ، ٣٥) ، الطبري (٢/٢٤٥) ، (الاستقامة) ، السيرة الحلبية (٢/١٤٥ وما بعدها) ، ابن خلدون (٢/٧٧٧) .

٣ البداية والنهاية (٤/٣) ، الطبـــري (٢/١٧٢) ، (الاستقامة) ، البـــدء والتاريخ (٤/١٩٥) ، البلدان (٧/١٩٩) ، ولفنسون (١٢٨ وما بعدها) ، السيرة الحلبية (٢/٢ وما بعدها) ، ابن خلدون (٢/٦٠٨) .

٤ O'beary, p. 173. f.

الأسماء ، صلة بالوثنية تشعر انها كانت على الوثنية قبل دخولها في دين يهود[1] . والظاهر انها تهودت إما بتأثير التبشير ، وإما باختلاطها ودخولها في عشائر يهودية جاورتها فتأثرت بديانتها . وقد ذكر البكري ان (بني حشنة بن عكارمة) ، وهم من بلي قتلوا نفراً من بني الربعة ، ثم لحقوا بتيماء « فأبت يهود ان يدخلوهم حصنهم وهم على غير دينهم ، فتهودوا ، فأدخلوهم المدينة . فكانوا معهم زماناً ، ثم خرج نفر الى المدينة ، فأظهر الله الاسلام ، وبقية من أولادهم بها »[2]. وهنالك بطون أخرى عربية الأصل كانت على دين يهود[3] .

وقد اشتهر يهود خيبر من بين سائر يهود الحجاز بشجاعتهم . وخيبر موضع غزير المياه كثيره ، وقد عرف واشتهر بزراعته وبكثرة ما به من نخيل . وعند اجلاء اليهود عن خيبر ، تفرقوا فذهب بعض منهم الى العراق ، وبعض آخر الى الشأم ، وبعض منهم الى مصر . وقد بقوا في كل هذه المواضع متعصبين لوطنهم القديم خيبر ، ينادون بشعارهم الذي كانوا ينادون به قبل الاسلام ، وهو : (يا آل خيبر)[4] .

وقد اشتهرت (خيبر) وعرفت بالحمى . حتى نسبت اليها ، فقيل لها (حمى خيبرية) . وكان من أساطيرهم إذ ذاك ، أن من أراد دخولها فعليه بالتعشير ليتخلص منها . وكان من أوابدهم فيما يزعمون أن الرجل إذا ورد أرض وباء ووضع يده خلف اذنه ، فنهق عشر نهقات نهيق الحمار ، ثم دخلها أمن من الوباء[5] .

وزعم أن يهود خيبر هم من نسل (ركاب) المذكور في التوراة[6] ، وأن (يونادب) Jonadab (جندب) ابنه : تبدى مع أبنائه ومن اتبعه ، وعاش

---

١ Margoliouth, p. 60, Nöldeke, Beiträge, S. 52, Wüstenfeld, Geschichte von Medina, S. 28.

٢ البكري (٢٩/١) «طبعة السقا» ، Islamic Culture, III, Vol., 2, p. 177.

٣ Nöldeke, Beiträge, S. 55.

٤ المشرق : السنة السادسة والثلاثون ، ١٩٣٨ (ص ١٥٢ وما بعدها) .

٥ قال عروة بن الورد :

واني وان عشرت من خشية الردى نهاق حمار انني لجزوع

تاج العروس (٤٠٢/٣) ، (عشر) .

٦ الملوك الثاني : الاصحاح العاشر ، الآية ١٥ ـ ٢٨ ، Hastings, p. 784.

عيشة تقشف وزهد وخشونة ، وأن نسلهم هاجر بعد خراب الهيكل الأول الى الحجاز حتى بلغوا خيبر ، فاستقروا بها ، واشتغلوا بزراعة النخيل والحبوب ، وأنهم أقاموا فيها قلاعاً وحصوناً تحميهم من غارات الأعراب عليهم . ذكر بعض الأخباريين أنها ولاية من سبعة حصون ، منها : حصن ناعم ، والقموص حصن ابن أبي الحقيق وهو أقواها وأعزها وقد أقيم على مرتفع من الأرض حماه وعزز دفاعه ، وحصن الشق ، وحصن النطاة ، وحصن السلالم ، وحصن وجده ، وحصن الوطيح ، وحصن الكتيبة (الكثيبة) . وقد أخرجوا منها وأجلوا عنها زمان عمر بن الخطاب [1] .

وقد زعم بعض الأخباريين ان خيبر لفظة عبرانية ، وان معناها الحصن في عربيتنا [2] . وزعم بعض آخر انها نسبة الى رجل اسمه (خيبر بن فاتيه بن مهلاييل) ، سميت خيبر باسمه ، لأنه كان أول من نزلها [3] . وذهب (وايل) Weil ، الى ان اللفظة لفظة عبرانية ، وهي بمعنى مجموعة مستوطنات [4] . أما (دوزي) ، فقد أخذ بالرواية العربية ، فزعم ان (خيبر) ، كناية عن جماعة من اليهود هاجرت في أيام السبي من فلسطين الى هذا الموضع ، وهي من نسل (شفطيا بن مهللئيل) من (بني فارص) [5] . وان (فاتيه) ، هو تحريف (شفطيا) Shaftja المذكور في سفر (نحميا) من أسفار التوراة ، وهو ابن (مهللئيل) ، الذي هو (مهلاييل) عند أهل الأخبار . وزعم ان زمان هجرة هذه الجماعة يتناسب تماماً مع الرواية القائلة ان هجرة اليهود الى جزيرة العرب كانت في ايام (بخت نصر) [6] .

وذهب المستشرقون ان كلمة (خيبر) ، كلمة عبرانية الأصل (خيبر) Kheber

---

١ البلدان (٣/٤٩٥ وما بعدها) ، البكري ، معجم (١/٥٢١) ، تاج العروس (٣/١٦٨)، (خبر) ، زاد المعاد (٢/١٣٣) ، تاريخ الاسلام (١/٢٩٤ وما بعدها) ، Graetz, III, p. 56, Ency., II, p. 869, Caetani, Annali., II, I, 8-33.

٢ ابو الفداء ، (ص ٨٩) ، البلدان (٣/٤٩٥) ، البكري ، معجم (٢/٥٢١ وما بعدها) ، تاج العروس (٣/١٦٨) ، (خبر) .

٣ R. Dozy, Mekka, S. 136.

٤ Mohammed der Prophet, S. 185.

٥ نحميا ، الاصحاح الحادي عشر ، الآية ٤ وما بعدها .

٦ R. Dozy, Mekka, S. 136. f.

ومعناها الطائفة والجماعة[1] . وذهب بعضهم الى ان معناها الحصن والمعسكر[2]. وهي من أقدم المواضع التي لجأ اليها اليهود في الحجاز .

ومن الصعب تعيين الزمن الذي هاجر فيه اليهود الى هذا الموضع . لقد رجع بعضهم ذلك الى ايام هجوم الرومان على فلسطين . غير ان من الجائز ان تكون هجرتهم اليها قد وقعت قبل ذلك ، ومن الجائز ان تكون في اثناء السبي واستيلاء البابليين على القدس ، وقد يجوز ان يكون قوم منهم قد جاءوا مع (نبونيد) ملك بابل الى تيماء حين اتخذ (تيماء) عاصمة له . فهاجر قسم منهم الى خيبر والى نواح أخرى من الحجاز[3] .

وأقدم إشارة كتابية ورد فيها اسم خيبر ، نص : حرّان اللجـاة ، ويرجع تأريخه الى سنة أربع مئة وثلاث وستين من الأندقطية الأولى ، وتقابل سنة ٥٦٨ للميلاد . وقد ورد فيه : « بعـد مفسد خيبر بعم »[4] . أي بعد خرب خيبر بعام . وهو يشير الى غزو لهذا الموضع أنزل به خسائر كبيرة ، ولأهميته وفداحته في نفوس أهله أرخوا بوقوعه . ويعود النص المذكور المدون باليونانية والعربية الى (شرحيل بن ظلمو) (شراحيل بن ظالم) ، وقد دوّنه لمناسبة بنائه (مرطولاً)، فأرخ بتاريخ خيبر المذكور . وهو يشير الى غزوة قام بها أحد أمراء غسان على خيبر[5] .

وقد وجدت كتابات بحروف المسند وكتابات نبطية في خيبر ، هي أقدم عهداً من نص (حرّان اللجاة) ، يفهم منهـا بوجود سكن في هذه الأرضين يعود بعضه الى ما قبل الميلاد . ولم تكتشف تربة خيبر حتى الآن ، وكل ما عثر عليه من عاديات فيهـا هو من النوع الذي وجد ظاهراً على سطح الأرض ، وليس بمستبعد أن يعثر فيها على كتابات قد تكشف عن تأريخ هذه البقعة .

ولما بلغ أهل تيماء ما حدث لإخوانهم في خيبر ووادي القرى ، وفدك ، قبلوا

---

١ Charles Cutler Torrey, The Jewish Foundations of Islam, New York, 1933, p. 13.

٢ Ency., II, p. 870.

٣ Torrey, p. 17, A. Müller, Der Islam, Bd., I, S. 36. ff.

٤ جواد علي ، العرب قبل الاسلام (١/ ١٩٥ وما بعدها) .

٥ المصدر المتقدم ، المعارف (٣١٣) ، ولفنسون ، السامية (١٩٢) .

الجزية ، وصالحوا الرسول في سنة تسع للهجرة ، فضمن بذلك لهم حرية بقائهم في دينهم . وعلى تيماء كان يشرف حصن السموأل (الأبلق الفرد) . وقد نعتت تيماء في بعض الأشعار بتيماء اليهود[1] .

وتيماء من المواضع القديمة . وقد مرّ الحديث عنها في أماكن من هذا الكتاب . وقد سبق أن قلت بأن الملك (نبونيد) قد أقام زماناً فيها ، حيث اتخذها عصمة له . وهي في موقع حسن ، وملتقى طرق هامة يسلكها التجّار . وقد استبد بها اليهود فأقاموا بهـا وجعلوها من أهم مستوطناتهم في الحجاز . استغلوا أرضهـا فزرعوها ، واستنبطوا الماء من الآبار بالإضافة الى واحتها ذات المياه العذبة الغزيرة التي كان لها الفضل في تكوين هذا الموضع واعماره . وقد ذكرت في شعر (امرىء القيس) ، وفيهـا كان حصن السموأل بن عـادياء المذكور في قصص امرىء القيس الشاعر .

ويرى بعض المستشرقين ان (شمعون التيماني) Simeon of Temanite المذكور في التلمود والمدراش ، هو من أهل (تيماء)[2] . ولا يستبعد ان يكون من بين أهل هذه المدينة من حصل على شهرة في العلم بفقه اليهود وبأحوال دينهم . فان مركزها وموقعها يجعل من السهل على سكانها الوصول الى فلسطين وبقية بلاد الشأم وأخذ العلم من علماء تلك البلاد .

وقد عثر الرحّالة (أويتنك) Euting على كتابة مدونة بقلم بني إرم تعود الى عهد كان الفرس قد استولوا فيه على هذا المكان ، تتحدث عن أهميـة تيماء ورقيها في هذا العهد[3] . ولا يستبعد العثور على كتابات عديدة اذا ما قام العلماء بالتنقيب عنها في باطن الأرض ، فإن موضعاً مثل هـذا الموضع لا بد ان يكون غنياً بالكتابات والآثار . وقد وجد (أويتنك) آثار معبد قديم ، وآثار مواضع عتيقة أخرى ترجع الى ما قبل الاسلام[4] . ووجد (جوسن) Jaussen و (سافينه) Savignac آثار مقابر عـلى تلال من النوع الذي يطلق عليـه الآثاريون اسم

---

١ البلدان (٢/٤٤٢) « تيماء » ، فتوح البلدان (١/٢٩) .

٢ Mishna Yadayim, I, 3, Yebamoth, 4, 13, Tosephta Berachoth, 4, 24, Sanhedr, 12, 3, Besa, 2, 19, Bab. Talmud, Zebachim, 32 b. Baba gamma, 90 b., Besa, 21a Tarrey, pp. 26 Margoliouth, p. 68.

٣ Ency., IV, p. 622.

٤ Euting, Tagebuch einer Reise in innerarabien, II, 148, 199.

(تمولي) Tumuli ، ومرقاة مدرجة تؤدي الى بناء مربع لعله معبد من معابد القوم بُني على هذا التل[1] .

ولا توجد اليوم بقية للأبلق الفرد ، الذي افتخر السموأل وآل السموأل به ، وكذلك يهود تيماء . وليس بمستبعد ان يكون ذلك الحصن من بقايا قصر (نبونيد) أو من بقايا قصور رجاله ، أو من بقايا أبنية غيره ممن نزل هذا المكان . وقد يكون بناء أقامه السموأل وبناه بحجر تلك الأبنية القديمة. وقد اكسب قصر السموأل هذا الموضع شهرة ، وأكسبه خبر وفاء السموأل شهرة كذلك على النحو المذكور في كتب الأدب والأخبار[2] .

وفدك موضع آخر من المواضع الذي غلب عليه اليهود . وسكانه مثل أغلب يهود الحجاز مزارعون عاشوا على الزراعة كما اشتغلوا بالتجارة وببعض الحرف التي تخصص فيها اليهود مثل الصياغة والحدادة والنجارة[3] . والموضع من المواضع القديمة التي يعود عهدها الى ما قبل الإسلام ، وقد ذكره الملك (نبونيد) في جملة المواضع التي زارها والتي خضعت لحكمه في الحجاز . وكان رئيس فدك عند ظهور الإسلام وهجرة الرسول الى يثرب يوشع بن نون[4] .

ووادي القرى ، هو من المواضع التي غصت باليهود ، فكان أكثر أهله منهم. وقد كان يهوده من المزارعين[5] ، وقد حفروا به الآبار ، وتحالفوا مع الأعراب، وعاشوا معهم متحالفين . يعملون بالزرع . وقد غزاهم الرسول مرجعه من خيبر سنة سبع للهجرة ، على أثر اصابة (مدعم الأسود) مولى الرسول بسهم غارب قتله . وهو مولى مولد من (حسمى) ، كان أهداه (رفاعة بن زيد الجذامي) أو (فروة بن عمرو الجذامي) الى الرسول[6] .

---

١ Jaussen and Savignac, Mission Archéologique, II, pp. 133, 163,

٢ أبو الفداء ، تقويم البلدان (٨٦) ، البكري ، معجم (٣٢٩/١) ، البلدان (٦٧/٢) ، اللسان (٧٦/١٢) « صادر » ، ابن حوقل ، صورة الارض (٣٠) ، ابن خلدون (٥٧٤/٢) ، دائرة المعارف الاسلامية « الترجمة العربية » (١٣٠/٦) .

٣ البكري ، معجم (٣٢٧/١) ، تقويم البلدان (٧٨) ،

٤ الطبري (٩٨/٣) « حوادث السنة السابعة » ابن الاثير (٩٣/٢) ، « ذكر فدك » ، البلاذري ، فتوح (٣٦ وما بعدها) ، Nallino, Raccolta, I, 198, III, 97.

٥ زاد المعاد (١٤٦/٢) .

٦ الطبري (١٦/٣) ، (ذكر غزوة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وادي القرى) ، الاصابة (٣٧٤/٣) ، (رقم ٧٨٥٨) .

وكان بين أهل مقنا وأيلة في ايام الرسول قوم من اليهود كذلك ، وكذلك أهل بقية القرى الواقعة في أعالي الحجاز وعلى ساحل البحر ، وقد صالحوا الرسول على الجزية ، وبذلك ضمنوا لهم البقاء في هذه الأنحاء[1] . ومن هؤلاء اليهود (بنو جنبة) ، وهم يهود بـ (مقنا)[2] ،و (بنو غاديا)[3] ، و(بنو عريض)[4].

وكان بالطائف قوم من اليهود طردوا من اليمن ويثرب ، فجاءوا اليها ، ولم تكن قد أسلمت بعد ، فأقاموا بها للتجارة . فلما صالح أهل الطائف الرسول — على ان يسلموا ويقرهم على ما في أيديهم من أموالهم وركازهم ، واشترط عليهم ألا يربوا ولا يشربوا الخمر وكانوا أصحاب ربا — وضعت الجزية على يهودها ، وبقوا فيها ، ومن بعضهم ابتاع معاوية أمواله بالطائف[5] .

ويظهر انه لم تكن لليهود جاليات كبيرة في جنوب المدينة حتى اليمن ، لعدم إشارة أهل الأخبار اليهم ، وان كنت لا أستبعد وجود أفراد وأسر منهم في مكة وفي عدن وفي المدن التي اشتهرت بالتجارة كبعض موانىء البحر الأحمر وموانىء سواحل العربية الجنوبية . غير ان وجودهم في هذه المواضع ، لم يكن له أثر واضح مهم ، فلم يتجاوز محيط التجارة والاتجار .

وقد ذهب بعض المستشرقين ، استناداً الى دراسة أسماء يهود الحجاز عند ظهور الاسلام ، الى ان اولئك اليهود لم يكونوا يهوداً حقاً ، بل كانوا عرباً متهودين، تهودوا بتأثير الدعاة اليهود[6] . ولكن الاستدلال من دراسة الأسماء على أصول الناس ، لا يمكن ان يكون حجة للحكم على أصولهم وأجناسهم . فالفرس والروم والهنود وغيرهم ممن دخل في الاسلام ، تسمّوا بأسماء عربية ، وبعضها أسماء عربية خالصة . وتسمياتهم هذه لا تعني ان من تسمى بها كان عربي الأصل . ثم إن كثيراً من اليهود في الغرب وفي أمريكة وفي البلاد العربية والاسلامية ، سمّوا أنفسهم بأسماء غير عبرانية ، ولكنهم كانوا وما زالوا على دين يهود .

---

١ البلدان (١٢٨/٨) « مقنا » ، البلاذري ، فتوح (٦٦) ، زاد المعاد (١١٧/٢) ، الطبري (٢٣٢/٢ وما بعدها) .
٢ ابن سعد ، طبقات (٢٧٦/١) .
٣ ابن سعد ، طبقات (٢٧٩/١) .
٤ ابن سعد ، طبقات (٢٧٩/١) .
٥ البلاذري ، فتوح (٦٣) .
٦ W. Caskel, Das attarabische königreich Lihyan, S. 19.

فالأسماء وحدها لا تكفي في اعطاء رأي علمي في تعيين الأصول والأجنـاس ، ولا سيما في المواضع الكائنة على طرق التجارة والمواصلات وفي الأماكن التي يكثر فيها الاختلاط .

وللمستشرق (ونكلر) رأي في هذا الموضوع ، خلاصته : ان اولئك اليهود لو كانوا يهوداً حقـاً هاجروا من فلسطين الى هـذه المواضع ، لكانت حالتهم وأوضاعهم ومستواهم الاجتماعي على خلاف ما كان عليه هؤلاء اليهود . كانت حالتهم أرقى وأرفع من الحالة التي كانوا عليها ، إذ لا يعقـل ، على رأيه ، وصول جماعة الى ذلك المستوى الاجتماعي الذي كان عليه يهود جزيرة العرب لو كانوا من بلادٍ مستواها الثقافي والمدني أرقى من مستوى من هو دونهم كثيراً في شؤون الحياة . ومستوى الحياة في جميع نواحيها ، في فلسطين ، أرقى وأرفع من مستواها في الأماكن التي وجد فيها اليهود من بلاد العرب . فهم على رأيه عرب متهودون ، لا يهود مهاجرون[1] .

غير أن هنالك من يؤاخذ ونكلر على هذا الرأي ، لأن رأيه لا يمكن ان ينطبق على من ترك دياره وهاجر ، واستقر في موطن جديد لأمد طويل ، لأن الأوضاع المحيطة بالوطن الجديد سرعان ما تؤثر في المهاجرين ، ولا سيما إذا كانوا جماعات صغيرة أو جماعات ليست ذات بأس شديد ، فتجعلها تنصاع للمحيط الذي نزلت به بعض الإنصياع ، فتفقد بعض خصائصها ، لتكتسب خصائص المجتمع الجديد. ثم إن اليهود الذين نزلوا في الحجاز ، كانوا يختلفون مع ذلك عمن كان في جوارهم أو بينهم ، إذ كانوا يشتغلون بالزراعة ويمتهنون بعض المهن التي يأنفهـا العربي الأصيل ، كما أنهم كانوا لا يرغبون في القتال ، ولا يميلون الى الغزو والحروب ، ولم يشتركوا إلا اضطراراً وإلا بإلحاح المصالح الضرورية فيها ، وهم يختلفون في هذه الناحية من الأعراب[2] .

ويلاحظ أن يهود الجاهلية لم يحافظوا على يهوديتهم وعلى خصائصهم التي يمتازون بها ويحافظون عليها محافظة شديدة ، كما حافظوا عليها في الأقطار الأخرى . فأكثر أسماء القبائل والبطون والأشخاص ، هي أسماء عربية ، والشعر المنسوب الى شعراء منهم ، يحمل الطابع العربي ، والفكر العربي . وفي حياتهم الاجتماعية والسياسية

---

١ Winkler, Mett. Var. Asal. Ges., VI, S. 222.

٢ Margollouth, p. 62.

لم يكونوا يختلفون اختلافاً كبيراً عـــن العرب ، فهم في أكثر أمورهم كالعرب فيما سوى الدين[1] . ولعل هذا بسبب تأثير العرب المتهودة عليهم ، وكثرتهم بالنسبة الى من كان من أصل يهودي ، مما سبب تأثيرهم،وهم ذوو أكثرية ، في اليهود الأصيلين الذين أثروا فيهم فأدخلوهم في دينهم ، فأثروا هم فيهم ، وطبعـوهم بطابع عربـي .

وقد عاش اليهود في جزيرة العرب معيشة أهلها ، فلبسوا لباسهم ، وتصاهروا معهم ، فتزوج اليهود عربيات ، وتزوّج العرب يهوديات ، ولعلّ كون بعض يهود من أصل عربـي ، هو الذي ساعد على تحطيم القيود التي تحول بين زواج اليهود بالعربيات وبالعكس . والفرق الوحيد الذي كان بين العرب واليهود عنـــد ظهور الاسلام هو الاختلاف في الدين . وقد تمتع اليهود بحريـة واسعة لم يحصلوا عليها في أي بلد آخر من البلاد التي كانوا بها في ذلك العهد[2] .

ومن الأسماء التي قد تكون من أصل عبراني (زعورا) ، وهو اسم عبراني متأثر بلهجة بني إرم ، و (يساف) ، وقد يكون من (يوسف) ، و (نبتل) وقد يكون من (نفتالي) Naftali ، وأسماء أخرى لم تتمكن من المحافظة عـلى أصلها العبراني ، فتأثرت بخواص اللسان العربـي . وليس بين أسماء البطون اليهودية الأحد عشر ، التي كانت في الحجاز في أيام ظهور الإسلام ، اسم تظهر عليـــه الملامح العبرانية غير الاسم الذي ذكرته وهو (زعوراء)[3] .

وكانت يثرب عند هجرة الرسول اليها ، في أيدي أصحابها الأوس والخزرج، لهم السيطرة والسلطان ، ولليهود آطامهم وقلاعهم في خيـــبر وفي تيماء وفي بعض قرى وادي القرى وفي أعالي الحجاز ، يتاجرون ، ويزرعون ،ويقرضون الأموال بالربا الفاحش للأعراب ، ويحترفون بعض الحرف مثل الصياغة ، وهـــي حرفة اشتهروا بها منذ القديم ، ويعقدون الأسواق ليقصدها الأعراب للامتيار .

ولكن اليهود مع ما كان لهم من قلاع وآطـــام وقرى عاشوا فيها متكتلين مستقلين لم يتمكنوا من بسط نفوذهم وسلطانهم على الأرضين التي أنشأوا مستوطناتهم

---

١ Nöldeke, Beiträge, S. 55. f.

٢ Graetz, III, p. 58, f., 60.

٣ Margoliouth, p. 60, Nallino, Raccolta, III, p. 104, H. Hirschfeld, Essai sur l'histoire des Juifs de Medine, in Revue des Etudes Juifs, X, 1885, p. 11. f.

فيها ، ولم يتمكنوا من انشاء ممالك وحكومات يحكمها حكام يهود ، بل كانوا مستقلين في حماية سادات القبائل ، يؤدون لهم إتاوة في كل عام مقابل حمايتهم لهم ودفاعهم عنهم ومنع الأعراب من التعدي عليهم . وقد لجأوا الى عقد المحالفات معهم ، فكان لكل زعيم يهودي حليف من الأعراب ومن رؤساء العرب المتحضرين .

وقد كان اليهود يخضعون في نظامهم السياسي والاجتماعي لرؤسائهم وساداتهم ، يدفعون لهم ما هو مفروض عليهم أداؤه في كل سنة . وهؤلاء السادة هم أصحاب الآطام والحصون والأرض . ولمن يشتغل في الأرض تسديد ما عليه لصاحبها في مقابل استغلاله لها . وقد اعتنوا عناية خاصة بزراعة النخيل . وعرفت القطعة من الأرض المزروعة نخلاً عندهم بـ (الصورين) (الصور)[1] . ولما كانت الأرضون المزروعة واسعة ، كانت خارج الآطام والحصون ، يحميها حراسها والمشتغلون بها أيام ثمرتها . وأما في أيام الغزو والحروب ، فقد كانت معرضة لهجوم المهاجمين. وهذا ما كان يعرض أعظم غلة لليهود للخطر ، ولهذا شق عليهم كثيراً،وانهارت مقاومتهم حين أمر الرسول بقطع النخل وتحريقه،وأخذوا يلتمسون منه وقف ذلك .

ويتولى الأحبار الأمور الدينية وتنفيذ الأحكام والنظر فيما يحدث بين الناس من خصومات . يقيمون لهم الصلوات وبقية شعائر دينهم ، ويعلمونهم في بيوت المدارس .

وقد أدى التنافس بين سادات يهود الى نشوب معارك بينهم في الجاهلية . وقد أشار اليها القرآن الكريم وأنّبهم على ذلك . واضطرت بنو قينقاع بسبب ذلك وبضغط بني النضير وبني قريظة الى الالتجاء الى أحياء يثرب والى محالفة الخزرج، وفي مقابل ذلك تحالفت بنو النضير وبنو قريظة مع الأوس ، فصاروا فرقتين : فرقة مع الخزرج ، وفرقة مع الأوس .

وفي تأنيب يهود ، لتخاصمهم وتنابذهم واخراجهم بعضهم بعضاً من ديارهم وأسْر بعضهم بعضاً وافتداء الأسرى كالذي وقع بين بني قينقاع وبني النضير ، نزل الوحي : « وإذ أخذنا ميثاقكم ، لا تسفكون دماءكم ، ولا تخرجون أنفسكم

---

١ الروض الانف (٢/١٩٤) ، ابن هشام (٢/١٩٥) ، (حاشية على الروض) ، (الصور: أصل النخل) ، (الصور : النخلة) ، تاج العروس (٣/٣٤٣) ، (صور) .

من دياركم ، ثم أقررتم وأنتم تشهدون ، ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم ، وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان . وإن يأتوكم أسرى ، تفتدوهم وهو محرم عليكم اخراجهم ، أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ؟ فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ، ويومَ القيامة يردّون إلى أشد العذاب ، وما الله بغافلٍ عما تعملون »[1] . أنّبهم لأنهم فعلوا فعل المشركين والأعراب ، مع انهم أهل دين واحد وكتاب . أما المشركون فلا لوم عليهم ، لأنهم لم يكونوا على دين ، وليس لهم كتاب يأمرهم وينهاهم .

وفي المعارك والخصومات التي تقع بين يهود ، كانوا يؤدون الدية . وهي على ما يظهر من روايات أهل الأخبار مختلفة ، وغير متكافئة . فكان بنو النضير يؤدون الدية كاملة لشرفهم في يهود ، أما بنو قريظة ، فكانوا يؤدون نصف الدية . وفي خلاف في أداء الدية وقع بينهم ، التجأوا الى الرسول للحكم بينهم ، فذكروا له هذا الاختلاف ، فحكم بالدية متساوية . وفي هذا الحكم نزلت الآية : « سماعون للكذب ، أكّالون للسحت ، فإن جاؤوك فاحكم بينهم او أعرض عنهم ، وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً ، وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط ، إن الله يحب المقسطين »[2] . ذكر علماء التفسير عن (ابن عباس) أنه قال : «كانت قريظة والنضير ، وكان النضير أشرف من قريظة ، فكان إذا قتل رجل من قريظة رجلاً من النضير قتل به ، وإذا قتل رجل من النضير رجلاً من قريظة ودى مائة وسق من تمر ، فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قتل رجل من النضير رجلاً من قريظة فقالوا : ادفعوه الينا لنقتله ، فقالوا : بيننا وبينكم النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فنزلت : وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط . النفس بالنفس ، ونزلت أفحكم الجاهلية يبغون »[3] .

وذكر علماء التفسير في تفسيرهم للآيات المتقدمة ، ان أحبار اليهود لم يكونوا يحكمون بالحق فيما بين الناس ، كانوا يحابون ويتحزبون ويحكمون بالباطل ويأكلون (السحت) أي الرشا ، جزاء حكمهم بالباطل . وكانوا يتساهلون في تطبيق أحكام

---

١ البقرة ، الآية ٨٤ وما بعدها ، روح المعاني (٣٠٩/١) ، ابن هشام (٢٣/٢) ، (حاشية على الروض) .

٢ المائدة ، الآية ٤٢ .

٣ تفسير القرطبي ، الجامع (١٨٧/٦) ، تفسير الطبري (١٥٧/٦) .

الشريعة مع الشريف لشرفه ، ويتشددون مع الدنـــيء لدناءته وفقر حاله ، ولا يراعون التساوي في أخذ الديّات . « كان الشريف إذا زنى بالدنيئة رجموها هي وحموا وجه الشريف وحملوه على البعير ، أو جعلوا وجهه من قبل ذنب البعير . وإذا زنى الدنيء بالشريفة ، رجموه » . وكان هذا شأنهم « الى ان زنى شاب منهم ذو شرف ، فقال بعضهم لبعض لا يدعكم قومه ترجمونه ، ولكن اجلدوه ومثّلوا به ، فجلدوه وحملوه على حمار أكاف وجعلوا وجهه مستقبل ذنب الحمار . الى ان زنى آخر وضيع ليس لـــه شرف ، فقالوا ارجموه . ثم قالوا فكيف لم ترجموا الذي قبله ، ولكن مثل ما صنعتم به فاصنعوا بهذا » ، واختلفوا فذهب فريق منهم الى الرسول ، فحكم بينهم بما جاء بحكم التوراة[1] .

وذكر ان (حيي بن أخطب) كان قد حكم ان للنضري ديتان وللقرظي دية، لأنه كان من النضير[2] .

وذكر أهل الأخبار انه كان لليهود حكام يحكمون بينهم ، ويقيمون حدودهم عليهم . فلما جاء الرسول الى يثرب ، صار اليهود يعترضون على عدالة حـــكم بعضهم ، ولا يرضون بتنفيذ أحكامهم عليهم . فكان الحكام او هم يذهبون الى الرسول لكي يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون وفق شريعتهم[3] .

وكان جلّ اعتماد اليهود في هذه المنطقة عند ظهور الاسلام على التجـــارة ، ومعاطـــاة الربا والزرع ، وبعض أنواع الصناعة : كالصياغة ، وتربية الماشيـــة والدجاج ، وصيد الأسماك في أعالي الحجاز على ساحل البحر الأحمر . واشتهروا بالاتجار بالبلح وبالبر والشعير والخمر ، وكانوا يجلبون الخمـــر من بلاد الشأم . وكانوا يبيعون بالرهن ، يرهن المشترون بعض أمتعتهم عندهم ليستدينوا منهـــم ما يحتاجون اليه . وقد ورد ان الرسول رهن درعاً له عند يهودي من أهل يثرب في مقابل شعير كان به حاجة شديدة اليه[4] .

ومن الصناعات التي اشتغل بها اليهود، النسيج وهو من اختصاص نسائهم على

---

١ تفسير الطبري (١٥٧/٦) .
٢ تفسير الطبري (١٥٧/٦) .
٣ تفسير القرطبي ، الجامع (١٨٧/٦) .
٤ البخاري (١٦/٢ ، ٤٥) ، فتوح البلدان (٦٠) ، ولفنسون (ص ١٨) ، Islamic Culture, 1929, III, No., 2, p. 187.

الأكثر ، والصياغة وقد اختص بها بنو قينقاع ، والحدادة ، وهي صناعة يأنف منها العرب ويزدرونها ويرونها من الحرف الممقوتة الحقيرة .

ولم يكن من مصلحة اليهود ، وهم أهل زرع وضرع ومال وتجارة وأرض ثابتة وقصور وآطام ، أن يشتركوا في الحروب أو يشجعوا وقوعها في ديارهم وفي جوارهم ، بل كان من مصلحتهم أن يعمّ الاستقرار البلاد التي يقيمون فيها، ليعيشوا عيشة هنيئة ، وليبيعوا ما عندهم من الأعراب وليشتروا منهم ما عندهم من سلع وليقبضوا أموالهم منهم والأرباح التي استحقت على تلك الأموال .

وفي النزاع الذي يقع بين القبائل ، لم يكن من مصلحتهم تأييد حزب على حزب ، خوفاً من الوقوع في أخطاء تجر عليهم أخطاراً ومهالك هم في غنى عنها وفي مأمن من شرّها . ثم إنهم بتحزبهم لطرف يغضبون الطرف الآخر ، فيضمر عندئذ شراً لهم ، فيخسرون بذلك مشترياً وبائعاً . وهم أناس اصحاب سوق وتجارة . غير ان الظروف كانت تكرههم في بعض الأحيان على الاشتراك في الحرب ، وعلى إثارة الحرب أيضاً متى وجدوا في إثارتها فائدة لهم ومصلحة ترتجى كأن ينهكوا العدوّ بحرب مع عدو آخر بإيقاع الفتنة وإشعال النيران ، كما أوقعوا بين الأوس والخزرج ، لإضعاف الطرفين معاً ، حتى لا تبقى لهم قوة تهددهم وتكون خطراً عليهم .

وفي يوم بعاث استعان الأوس ببني قريظة والنضير ،فبلغ ذلك الخزرج فأرسلوا اليهم يحذرونهم من سوء عاقبة الاشتراك في هذا النزاع،فتوقفوا ، غير أنهم عادوا فعاونوا الأوس ، وانضم اليهم بنو النبيت . فلما كسب الأوس الحرب ، كسب بنو قريظة والنضير والنبيت غنائم من الخزرج ، وخرجوا في هذا اليوم منتصرين بانتصار الأوس[1] .

ويذكر أهل السير والأخبار : ان يهود يثرب كانوا اذا تضايقوا من الأوس والخزرج هددوهم بقرب ظهور نبي يستعلون به عليهم . ففي رواية عن بعض الصحابة انهم قالوا : « كنا قد علوناهم في الجاهلية ، ونحن أهل شرك وهم أهل كتاب ، فكانوا يقولون لنا : إن نبياً يبعث الآن نتبعه ، قد أطل زمانه ،

---

١ ابن هشام (٣/٩٤) ، اليهود (ص ٦٢ وما بعدها) .

نقتلكم معه قتل عاد وإرم »[1] . ولما ذكّرهم معاذ بن جبل وبشر بن البرّاء بن معرور ونفر آخرون بدعواهم تلك ، وبظهور النبي العربي بقولهم لهم : «يا معشر يهود ، اتقوا الله ، واسلموا ، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ، ونحن أهل شرك ، وتخبروننا انه مبعوث وتصفونه لنا بصفته » ، فكان جواب يهود لهم ما جاء على لسان سلام بن مشكم أحد بني النضير : ما جاءنا بشيء نعرفه ، وما هو بالذي كنا نذكره لكم . وقد أشير إلى ذلك في القرآن الكريم: «ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم ، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا . فلما جاءهم ما عرفوا ، كفروا به ، فلعنة الله على الكافرين »[2] .

واستفتاح اليهود على المشركين ، هو للتفريج عن أنفسهم ولتخويف الأوس والخزرج ولاعتقادهم حقاً بظهور مسيح منهم ، أي من بني اسرائيل. ولهذا أنكروا نبوة الرسول ، وأبوا التسليم بها ، لأنه لم يكن منهم ، ولأن النبوة لا تكون — على رأيهم — إلا في بني اسرائيل.فكيف يصدقون بنبي عربي من الأميين (نبيّ اموت ها عولام) Nebi'e Ummot ha-'Olam .

يهود اليمن :

والموضع الثاني الذي عششت فيه اليهودية وباضت ، هو اليمن . ففي هذه الأرض من جزيرة العرب ظهر التهود فيها ظهوراً واضحاً ، وصارت اليهودية ديانة البلاد الرسمية . أما كيفية مجيئها وانتشارها هناك ، ومتى كان ذلك ، فليس لدينا علم واضح دقيق عن ذلك . ويزعم أهل الأخبار ان تبعاً ، وهو التبع (تبّان اسعد ابو كرب) ، اهتدى الى هذه الديانة عند اجتيازه بيثرب وهو عائد الى اليمن من حرب قام بها في الشمال وفي ايران ، وذلك بتأثير بعض الأحبار عليه، ومنذ ذلك الحين صارت هذه الديانة ديانة رسمية للبلاد[3] .

وتجعل بعض روايات الأخباريين اسم هذا التبع (تبع بن حسان) أو (حسان)،

---

١ ابن هشام (٢/١٦٦) ، (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد) ، تفسير الطبري (١/٣٢٤) .

٢ البقرة ، الآية ٨٩ ، تفسير الطبري (١/٣٢٤) ، روح المعاني (١/٢٨٩) .

٣ الطبري (٢/١٠٥ وما بعدها) ، «طبعة دار المعارف بمصر» .

وهو (تبع الأصغر) ، او (أبو كرب بن حسان بن اسعد الحميري) أو غير ذلك . وتزعم ان حبرين من أحبـــار اليهود من بني قريظة عالمين راسخين في العلم ، هما اللذان هديا التبع الى اليهودية ، وأبعداه عن عبادة الأوثان[1] .

وقد يكون لهذه الروايات شيء من الصحة ، غير أني أرى ان دخول اليهودية الى اليمن مردّه ايضاً الى اتصال اليمن من عهد قديم بطرق القوافل التجارية البحرية والبرية ببلاد الشأم . وفي قصة سليمان وملكة سبأ إشارة الى تلك الصلات ، والى هجرة جماعات من اليهود الى هذا القطر عن طريق الحجاز ، بعوامـل متعددة ، منها : التجارة والهجرة الى الخارج ، وهروبهم من اضطهاد الرومان لهم ،وعوامل أخرى جعلتهم يتجهون من الحجاز الى اليمن ، فأقاموا هناك .

وأما يهود اليمن المحدثون فإن أحبارهم ورجـــال العلم والفهم منهم يرجعون وجودهم في اليمن الى أيام السبي ، أي الى ايام (بخت نصر) ، وهم يزعمون أنهم بقوا في اليمن منذ ذلك الحين ولم يعودوا الى فلسطين[2] . وقد غادروا اليمن بعد التقسيم .

وقد أشار حبر يسمى (ربـي عاقبة) (رباي عقيبة) Rabbi 'Aqiba ، في حوالى سنة (١٣٠ م) ، الى زيارته لملك عربـي كوشي (مليخ عرابيم) كانت زوجته كوشية كذلك ، وإلى تحدثه معه . ويراد بـ (كوش) الأحباش غير ان بعضهم كان يقصد بها العربية الجنوبية كذلك . ولا يستبعد ان يكون مراد الحبر بذلك اليمن ،أو منطقة أخرى من العربية الجنوبية كان الحبش قد استولوا عليها[3] . وربما قصد منطقة افريقية ساحلية كان يحكمها ملك عربـي في ذلك الوقت .

وتدل رحلة (ربـي عقيبة) R. 'Aqiba هذه إلى اليمن على وجود يهود فيها ، إذ لا يعقل سفره هذا إلى تلك البقعة النائية وتجشمه مشقته ، لو لم تكن هنـاك

---

١ الاغاني (١/١٠٩ وما بعدها) ، (١٣/١٢٠ وما بعدها) ،
Caussin de Perceval, Essai, I, 91, Nallino, Raccolta, III, p. 88.

٢ Travels and adventure of the Rev. Poseph Walf, London, 1861, p. 509, R. Dozy, Die Israeliten zu Mekka von David Zeit bis in's fünfte Jakrhundert unsrer Zeitrechung, 1864, S. 135.

٣ Islamic Culture, III, 2, p. 190 (1929), Josephus, Antiquitate, XV, 3, 29, Die Araber, III, S., 22. Talmud Babli, in Rosh Hashnah, 26a, Kraus, in ZDMG., S. 331, 1916.

جالية يهودية فيها . وقد يجوز ان تكون سفرته الى اليمن مجرد سفـرة استطراق وعبور ، لغاية الذهاب من اليمن إلى الحبشة ، ولكني لا أستبعد مع ذلك وجود اليهود في اليمن في هذا العهد ، إذ كان (أوليوس غالوس) قد جاء بجمع منهم معه في حملته على اليمن ، فيجوز ان يكون بعضهم قد فضّل البقـاء في اليمن والسكن فيها لطيبها ولخصب أرضها وتعبهم من السفر ، ففضلوا لذلك البقاء على الرجوع وتحمّل المشقات والجوع والعطش والهلاك . وقد هلك بالفعل القسم الأكبر من رجال الحملة بسبب صعوبة الطريق والحر الشديد والجوع والعطش[1] .

وقد عثر على كتابة من كتابات القبور في (بيت شعا ريم) Beth She'arim في جنوب شرقي حيفا ، ورد فيها: (منحم قولن حميرن) Mnhm Kwln hmyrn أي (مناحيم قيل حمير) . والموضع الذي وجدت هذه الكتابة فيه ، هو مقبرة من مقابر كبّار الأحبار ، وقد وجدت معها كتابات أخرى ، تشير الى أسمـاء أحبار معروفين قبروا فيها . لذلك فإن (مناحيم) (قيل حمير) هو يهـودي ، قد كان جاء الى فلسطين للزيارة أو للاتصال بعلماء اليهود الذين كانوا قد تجمعوا في (بيت شيعا ريم) ، فمرض ومات هناك . ودفن في مقبرة هـذا الموضع . ويرجع الباحثون تأريخ الكتابة المذكورة الى حوالى سنة (٢٠٠ م)[2] .

واستدل بعض المستشرقين بنص دوّنه (شرحبيل يعفر بن أبي كرب أسعد) على سد مأرب ، وردت فيه جملة (بعـل سمن وارضن) ، أي (رب السماء والأرض) على يهوده بحجة ان هذه العبارة تشير الى التوحيد الخالص ، والتوحيد الخالص هو عقيدة يهود[3] .

وقد ذكر المؤرخ النصراني (فيلوستورجيوس) Philostorgius في حوالى سنة ٤٢٥ م ، ان أهل سبأ كانوا يتبعون في (السبت) سنة (ابراهيم) ، ولكنه ذكر أيضاً انهم كانوا يعبدون الشمس والقمر ومعبودات أخرى ، وان بعضاً منهم كان على دين يهود ، وانه قاوم رسالة (ثيوفيلس) Théophilus الذي أرسله القيصر

---

١ Ullendorff, in Journ. of Sem. Stud., Vol., I, Num. 3, July 1956, p. 221.

٢ S. D. Goitein, Jews and Arabes, New York, 1955, p. 47, Die Araber, III, S., 16. ff., Corp. Inscript. Iudaic., 2, 1952, 207, Nr. 1137, Driver, in Hebrew and Semitic Studies, 1963, 151. f.

٣ Islamic Culture, 1929, III, 2, p. 191, Margoliouth, Relations, p. 68.

قسطنطين (٣٤٠ – ٣٦١ م) للتبشير بين الحميريين . وذكر المؤرخ (ثيودور لكتور) Theodorus Lector ، وهو من رجال النصف الأول للقرن السادس للميلاد ، ان الحميريين كانوا في بادىء أمرهم على دين يهود ، دخلوا فيه في ايام ملكة سبأ المعروفة بقصتها مع سليمان ، بدعوتها اياهم الى هذا الدين. ولكنهم كما يقول هذا المؤرخ عادوا فارتدوا الى الوثنية ، ثم دخلوا بعدئذ في النصرانية في ايام القيصر (أنسطاس) Anastasius (٤٩١ – ٥١٨ م) . ولم يشر هذا المؤرخ الى وجود اليهودية بين الحميريين ، كما انه لم يشر ولا المؤرخ الآخر الى تهود أحد من ملوك حمير[1] .

ويفهم من الجمل : « وان اليهود الكائنين في طبرية يرسلون سنة فسنة ووقتاً فآخر كهنة منهم الى هناك لإثارة السجس بين نصارى الحميريين. فلو كان الأساقفة نصارى وليسوا بشركاء لليهود ، ويودّون ان تستقيم النصرانية ، لرغبوا الى الملك وعظمائه ، ليلقوا القبض على رؤساء كهنة طبرية وبقية المدن ،ويلقوهم في السجن . ولا نقول هذا لنجازي سيئة بسيئة ، بل ليتوثقوا منهم بكفلاء حتى لا يعودوا يرسلون رسائل وأشخاصاً وجيهين الى ملك الحميريين ، فيصب صاعقة الأرزاء على شعب المسيح في حمير ... » ،وهي جمل اقتبسها من رسالة (شمعون) عن تعذيب نصارى نجران ، ان يهود اليمن لم يكونوا بمعزل عن يهود فلسطين ، بل كانوا على اتصال بهم ، وان أحبار طبرية كانوا يرسلون رجالاً منهم الى اليمن ومعهم أموال ووجوه الى يهودها وملكها وكبارها للتأثير فيهم ولتوثيق صلاتهم وروابطهم بهم . وقد نسب شمعون الى أحبار طبرية ، انهم كانوا يحرضون ملك حمير ويهود حمير على الضغط على نصارى اليمن وعلى اضطهادهم انتقاماً منهم،فطالب الحكومة والنصارى على الضغط على يهود فلسطين وعلى أحبار طبرية بصورة خاصة ، ليكتبوا الى يهود حمير بالكف عن التحرش بنصارى اليمن، وعن تهديدهم بانزال العقوبات بهم انتقاماً منهم إن لم يسدوا لهم النصح .

وورد في أخبار الشهداء الحميريين : أن أحباراً من فلسطين من (طبريا) Tiberias ،كانوا قد جاؤوا إخوانهم في الدين يهود اليمن وسكنوا معهم[2] . ومعنى

---

١ Margoliouth, p. 62 f., Migne, Patrologia Graeca, XXXV, p. 211, Islamic culture, 1929, III, 2, p. 190, Philostorgius, Hist. Eccl., III, 5.

٢ Margoliouth, p. 68.

هذا أن الصلات بين يهود اليمن ويهود فلسطين كانت موجودة ، وأن يهود اليمن لم يكونوا بمعزل عن يهود فلسطين ، ويجب أن يقال مثل ذلك عن يهود الحجاز ، اذ لا بد وأن يكون ليهود الحجاز اتصال بيهود فلسطين وبيهود اليمن . وكيف لا يكون لهم اتصال بهم ، وهم جيران فلسطين ولهم تجارات معهم ، ثم إنهم على طريق اليمن وفلسطين ، فإذا أراد يهود فلسطين الذهاب الى اليمن ، أو يهود اليمن الذهاب الى فلسطين فلا بد من المرور بأرض يهود الحجاز والنزول بهم .

وقد عثر في اليمن على نص مكتوب بالمسند ، وردت فيه كلمة (يسرائيل) و (رب يهود) . ويدل هذا على أن صاحبه كان على دين يهود . عثر عليه المستشرق (كلاسر) ونشره المستشرق (ونكلر) ، وهذا هو : « تبرك سم رحمنن ذ بسمين (سمن) ويسر ال والهمو رب يهود . ذ هرد عبدهمو وشحرم وامهوبم (؟) وحشكهتو شمسم واولدهمو ذمم (؟) وابشعر ومار وكل ابهه »[1] .

وأما كتابته بلهجتنا ، فعلى هذا المنوال : « تبارك اسم الرحمان الذي في السماء واسرائيل وإلهه رب يهود الذي ساعد عبده شحراً وأمـــه بم (؟) وزوجته شمساً وأولاده ذمم (؟) وأبشعر ومثاراً وكل أهله (بيته) .

غير أن من الباحثين من يشك في صحة نقل هذا النص نقلاً صحيحاً تاماً ، ولم يتأكد من صحة نقل كلمة (اسرائيل)[2] .

واليهودية وإن ضعفت في اليمن بدخول الحبشة فيها ، بقيت مع ذلك محافظة على كيانها ، فلم تنهزم ، ولم تجتث من أصولها ، وبقيت قائمة في هذه البلاد في الاسلام كذلك فلم يجل أهلها عنها كما أجلي أهل خيبر ، وظلت بقيتهم هناك الى سنيّات قريبة حيث غادروها على أثر حوادث فلسطين .

وقد كانت (نجران) من المستوطنات المهمة التي نزل بها اليهود في اليمن[3] . وهي مكان خصب ، وقد عاش اليهود فيها مـــع غيرهم من العرب من نصارى وعبدة أصنام .

ووجد اليهود في مواضع أخرى من جزيرة العرب . وجدوا في العربية الشرقية

---

١ Glaser 394-395, Revue des Etudes Juives, 1891, vol., 23, p. 122, Winckler, AOF, I, S. 337.

٢ Margollouth, p. 68.

٣ معجم (٣٢٧/١) .

وفي نجد وفي مواضع من العربية الجنوبية . ولما ارتد (بنو وليعة) والأشعث بن قيس بن معديكرب بن معاوية الكندي ، وتحصن (الأشعث) في النجير) ، وهو حصن لهم ، كانت فيه امرأة من يهود ، عرفت بشماتتها بوفاة الرسول ، اسمها (هند بنت يامين) اليهودية [1] . مما يدل على وجود اليهود في هذا المكان . وكان بالبحرين قوم من اليهود ، صالحوا المسلمين مثـــل النصارى على دفع الجزية عن رؤوسهم [2] . وقد كتب (المنذر بن ساوى) العبدي ، يخبر الرسول أن بأرضـه يهود ومجوس ، فكتب اليه الرسول : « من أقام على يهودية ، أو مجوسية فعليه الجزية » [3] .

---

١ البلاذري ، فتوح (١١١) ، « ردة وليعة والأشعث بن قيس بن معديكرب بن معاوية الكندي » .

٢ البلاذري ، فتوح (٨٩ ، ٩١) ، (البحرين) .

٣ ابن سعد ، طبقات (١/٢٦٣) .

obeikandl.com